المكتبات في الأندلس ودورها في الحركة العلمية: العهد الأموي وملوك الطوائف نموذجا.

ناصري محمد/جامعة الجيلالي ليابس بسيدي بلعباس

خالد بلعربي/ جامعة الجيلالي ليابس بسيدي بلعباس

tashfine82@gmail.com

ملخص:

تحاول هذه الورقة العلمية رصد وتتبع أهم المكتبات التي وجدت بالأندلس في العهد الأموي وملوك الطوائف، حيث ألقينا من خلالها نظرة خاطفة على واقع الحركة العلمية خلال هذه الفترة كما تحدثنا عن نشاط الوراقة ودور الوراقين في الإنتشار الواسع للكتاب، كما أحصينا المكتبات الخاصة والسلطانية خلال هذه الفترة.

Abstract

This paper attempts to Counting the most important libraries found in Andalusia in the Umayyad era and the kings of tawaif, through which speak on reality of the scientific movement during this period. We also talked about the activity of Paper Maker and Their role wide of the book.

مقدمة:

قد لانجانب الصواب إذا قلنا بأن المكتبات في الأندلس عدّت من أهم الروافد الحضارية الهامة التي زودت أهل هذه العدوة بالعلم والمعرفة في شتى المجالات العلمية، سواء أكانت علوما نقلية أو عقلية، والمكتبات باعتبارها مقر لتجميع الكتب والوثائق فهي إذن مؤسسة علمية، وثقافية بالمعنى الحالي، وعليه فإن دلّت كثرتها على أمر فإنما تدل

على ثنائية تطور الحركة العلمية، والكم الكبير للإنتاج الفكري، وبالتالي فاهتمام أهل الأندلس بالمكتبات هو تعبير عن الشغف الكبير بالتحصيل العلمي، ورمزية الكتاب في مخيلة الأندلسيين الذين ضربوا أروع الأمثلة في الشغف بجمعه، والإفتخار والتباهي به،بل يمكننا القول أن الكتاب في الأندلس كان صيحة إجتماعية فكان الإهتمام به عاملا مشتركا بين العلماء، والطبقة الغنية البعيدة عن العلم.

وجدير بالذكر أن السلطة السياسية ساهمت بنصيب وافر في تشييد هذه الصروح المعرفية، فبذلوا الأموال الكثيرة في اقتناء الكتب، كما شجعوا على البحث والتأليف، إضافة لذلك، فقد أبدوا اهتماما بفئة النساخ، والوراقين، ويحفل تاريخ الأندلس بالعديد من النماذج في هذا الإطار، وإذ يجتمع هذا الاهتمام المشترك بالمكتبات من العامة والسلطة السياسية فضلا عن النخب العلمية، فنحن إذن أمام تجربة ناجحة شهدت لها المصادر بذلك، على أن الكتاب باعتباره مصدرا أساسيا لتلقي المعرفة خلال العصر، الوسيط ونظرا لإنتشاره الواسع فقد ساهم ذلك في تحويل الكتاب إلى تجارة مربحة،وفتحت له بذلك شقا تجاريا، فاقتناء الكتب والمغالاة في أثمانها كان يخضع لعدة اعتبارات خاصة نوعية التجليد، والورق، وكذا جودة الخط،وقد حفظت لنا المصادر عدة شواهد تاريخية في هذا الصدد.

وفي هذا السياق تأتي دراستنا الموسومة ب"المكتبات في الأندلس، ودورها في تنشيط الحركة العلمية: العهد الأموي وملوك الطوائف أنموذجا" كمحاولة منا للنبش في هذا الموضوع واستجلاء معالم مساهمة المكتبات في الحركة العلمية إضافة إلى رصد أهم وأشهر المكتبات في العهد الأموي، وعهد ملوك الطوائف.

الحركة العلمية بالأندلس:

جسد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية نقلة نوعية في تاريخ حضارات البحر المتوسط، ولاأدل على ذلك من الصرح الحضاري الذي شيّده المسلمون في هذه المنطقة، وعلى مرّ القرون الثمانية التي عاشتها الأندلس في كنف الحضارة الإسلامية، حيث شهدت في معظم مراحلها السياسية نشاطا علميا، وثقافيا ملحوظا، بل نجزم أن العناية بالعلم والعلماء كانت قاسما مشتركا بين مختلف الأنظمة السياسية التي حكمت الأندلس منذ فتحها لغاية سقوطها، وإن كانت بعض الكتابات الإستشراقية ذكرت أن عصر الولاة لم يعرف نشاطا فكريا كبيرا بسبب الفتنة بين القيسية، واليمنية[1] فإن هذا لايعني غياب النشاط الفكري تماما،ففتح الأندلس استتبعه عملية تعريب وأسلمة للإسبان، وهو مايعني وجود نشاط فكري لتعليم الإسلام، إضافة إلى ذلك فقد استند إلى قوله بأن بدايات الفتح كان يعبر إلى الأندلس المحاربين فقط بينما غاب عن ذهنه أن هؤلاء المحاربين ضمت صفوفهم الكثير من العلماء والفقهاء نذكر منهم حنش بن عبد الله الصنعاني[2]ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري[3].

وفي عصر الإمارة رعى أمراء الدولة الأموية العلم والعلماء بل منهم من كان له من العلم نصيب وافر مثل عبد الرحمن الداخل الذي كان "فصيحا بليغا كاتبا مرسلا، جيد الفصول، حسن التوقيع، مطبوع الشعر"[4] وقد برز في عهده عدة علماء، نذكر منهم يحي بن يزيد التجيبي، ومعاوية بن صالح، وجداربن عمرو[5] والأمير محمد بن عبد الرحمن الذي كان "محبا للعلوم، مؤثرا لأهل الحديث، عارفا حسن السيرة"[6] وهو الذي حمى بقي بن مخلد[7]من جماعة من أهل الرأي الذين أنكروا عليه إدخاله للأندلس مصنف بن أبي شيبة،[8]والأمير عبد الله بن محمد الذي كان "أديبا شاعرا، بليغا بصيرا باللغة، والغريب، وأيام العرب"[9]، وعرفت هذه الفترة عدة علماء نذكر منهم: خطاب بن

إسماعيل المتوفى سنة 297هـ/910م،[10] وزكريا بن حيون الحضرمي المتوفى سنة 297هـ/910م.[11]

وفي عصر الخلافة كان للعلم سهم وافر ضمن اهتمامات الناصر، وابنه المستنصر الذي كان "من أهل الدين، والعلم، راغبا في جمع العلوم الشرعية من الفقه، والحديث، وفنون العلم، باحثا عن الأنساب"[12]كما كان "جامعا للعلوم، محبا لها مكرما لأهلها".[13]وكان هذا الخليفة شغوفا بجمع الكتب حيث " جمع من الكتب في أنواعها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك، وذلك بإرساله عنها إلى الأقطار، واشترائه لها بأغلى الأثمان، ونفق ذلك عليه فحمل إليه"،[14]ففضلهما دشنت الأندلس إنطلاقة حضارية في تشييد صروح العلم، والمعرفة، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى الإستقرار السياسي، والإجتماعي، والإقتصادي، ونتيجة لإزدهار الحركة العلمية، وشغف الأندلسيين بالتحصيل العلمي، نشطت حركة التأليف في شتى الميادين المعرفية لاسيما العاصمة قرطبة[15] التي صار أهلها مضرب الأمثال في العناية بالكتب، فهي قبل كل ذلك كانت "أكثر بلاد الأندلس كتبا"،[16] وأهلها "أشدّ الناس اعتناءًا بخزائن الكتب"[17]حتى أصبح حيازة خزانة كتب في البيت شرط أساسي للمكانة الإجتماعية المرموقة، وقد عرفت هذه الفترة بروز المئات من العلماء الذين عجت بهم كتب السير، والتراجم، نذكر منهم أمثلة على غرار: منذر بن سعيد البلوطي[18] قاضي الجماعة في عهد الناصر، والمستنصر[19]والطبيب المشهور خلف بن عباس الزهراوي[20].

وحظي العلماء بمكانة إجتماعية رفيعة، وإهتمام كبير من طرف ملوك الطوائف، ولعل تفسير هذا الإهتمام الكبير بالكتاب من طرف العامة مرده إلى محاولتهم التشبه بهذه النخب العلمية، وهي من الفعال المحمودة من طرف الحكام الذين رفعوا من قيمة

العلماء، فارتفع سهم العلم، والمعرفة وأصبح الإهتمام بالكتاب ديدن العامة،فيما يشبه الصيحات الإجتماعية فكانت المزايدة، والمغالاة في أثمان الكتب، والتباهي بها في المجالس "ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب،والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره،والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصّله وظفر به"[21]، ونسوق في هذا المقام قصة ذكرها المقري في "نفح الطيب" تبين بجلاء انتشار هذه الممارسات،حيث ذكر الحضرمي: أنه كان يلازم سوق الكتب ليبحث عن "كتاب كان لي بطلبه اعتناء"[22] فلما وجده نافسه عليه أحد الأثرياء حتى تجاوز ثمنه المطلوب، فتحدث معه الحضرمي ليتنازل له عن الكتاب وظنه أنه فقيه فأجابه" لست بفقيه، ولاأدري مافيه، ولكنّي أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط، جيد التجليد، استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ماأنعم به من الرزق فهو كثير"[23].

على أن قرطبة لم تكن النموذج الوحيد في مجال الإهتمام وجمع الكتب،بل تعدى هذا النشاط إلى حواضر أخرى كإشبيلية[24]التي كانت تحت حكم بني عباد، حيث نفقت فيها سوق العلم فقد كانت تحتوي على سوق لبيع الكتب،وكانت هذه الرعاية للعلم تدخل في إطار التنافس بين ملوك الطوائف في رعاية العلماء وجمع الكتب.

الوراقة ودورها في انتشار الكتب:

بعدما عرفت صناعة الورق في العالم الإسلامي تقدما كبيرا خاصة في المشرق الذي كان سباقا إلى إستعماله، حيث قطع أشواطا كبيرة في إستخدام الورق في نشاط نسخ الكتب، انتقلت هذه المادة إلى الأندلس، والتي كان لها دور كبير في الإنتشار الواسع للكتب، فقد ذكر خوليان ريبيرا أن العرب استخدموا الورق الذي يعد ثمنه رخيص

مقارنة بالبردي، والرق مما مكنهم من تداول الكتاب على نطاق واسع، بل ويشبه أفضلية استخدام الأندلسيون للورق بظهور الطباعة في القرن الخامس عشر[25].

وبذلك ظهرت فئة الوراقين الذين كان لهم دور رئيسي في حركية التأليف، وإنتشار الكتب وقد تميزوا بجودة خطهم التي وصفها المقدسي بأنه مدوّر[26]، وقد برع وراقوا شاطبة[27] في صناعة الورق وتميزوا في صناعته على بقية المدن الأندلسية فكان يصدر منها إلى "سائر بلاد الأندلس"[28].

هذا وقد ساهم الوراقون في الإنتشار الواسع للكتب بفضل طبيعة الخط العربي الذي عده خوليان ريبيرا السر وراء الانتشار الكبير للكتب، حيث أن الحروف العربية ليس فيها إلتواءات كثيرة، بعكس اللغة اللاتينية وبالتالي فالناسخ العربي كان ينسخ أكثر من الناسخ اللاتيني[29]، ولم تخلو مكتبات الحكام من النساخ الذين وظفوهم وأجزلوا لهم العطاء لينسخوا لهم الكتب، ونذكر في هذا الصدد محمد بن الحسين الفهري، ومحمد بن معمر الجياني اللذان توليا نسخ كتاب البارع لأبي علي القالي[30] وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء العديد من الوراقين نذكر منهم:

الوراق	أصله	سنة وفاته أو مولده	المصدر والصفحة
أحمد بن عمر الوراق	قرطبة	توفي بعد350هـ	إبن بشكوال،الصلة، ج1،ص36
خلف بن محمد بن باز القيسي الوراق	قرطبة	توفي سنة 437هـ/1045م	إبن بشكوال،الصلة، ج1،ص238.

قاسم بن مروان الوراق	قرطبة	توفي قريب من 400هـ/1009م	إبن بشكوال،الصلة، ج2،ص91.
محمد بن عيسى الوراق	بسطة	ولد سنة 317هـ/929م	إبن بشكوال،الصلة، ج2،ص105.
محمد بن علي بن أحمد الوراق	/	/	إبن بشكوال،الصلة، ج2،ص163.
محمد بن يوسف الوراق	/	/	ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة، ج1،ص294.
محمد بن اسماعيل بن أبي الفوارس	قرطبة	/	ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة، ج1،ص299.
محمد بن حكم بن سعيد	قرطبة	كان حيا سنة 397هـ/1006م	ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة، ج1،ص302.
محمد بن عبيد الله بن خلفة الوراق	قرطبة	توفي سنة 450هـ/1058م	ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة، ج1،ص315.
محمد بن مبارك	ألمرية	/	ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة، ج1،ص329.
محمد بن	قرطبة	/	إبن

أحمد بن إبراهيم الوراق			بشكوال،الصلة، ج2،ص165.

المكتبات في العهد الأموي:

مكتبة الخليفة المستنصر:(350-366هـ/961-976م)

اشتهر هذا الخليفة بحسن سيرته وشغفه بالعلوم، وإقتناء الكتب من مختلف الأقطار سواء داخل الأندلس أم خارجها، باذلا في سبيل الحصول عليها أموالا باهضة،[31] وهو ماساعده في تكوين مكتبة ضخمة تضم آلاف الكتب في شتى صنوف العلم، فقد ذكر ابن حزم أن فهارس خزانته بلغت أربع وأربعون فهرسة وكل فهرس يضم خمسون ورقة مكتوب فيها فقط عناوين الكتب دون أسماء مؤلفيها،[32] وهو مايبين أعدادها الكثيرة التي رجح المقري نقلا عن بعض المؤرخين أنها بلغت أربعمائة ألف مجلد وأنه استغرق نقلها ستة أشهر[33].

ولم يكتف المستنصر ببذل الأموال لمؤلفي وعلماء الأندلس،بل تعداه إلى خارجها فقد وصلت عطاياه حتى مصر إلى العالمين أبو إسحاق محمد، وأبو عمر محمد بن يوسف الكندي، كما بعث لأبي الفرج الأصبهاني ألف دينار ذهبا ليحصل على نسخة من كتابه الأغاني[34].

ولإرضاء شغفه العلمي بالحصول على الكتب النادرة كان المستنصر قد وظف لهذا الأمر وراقين منتشرين في مختلف البلدان لينسخوا له المؤلفات،على أن المستنصر لم يكن يجمع بهدف التباهي، وإنما لطلب العلم فكان "كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها، والمطالعة لفوائدها، وقلما تجد له كتابا كان في خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر"[35].

مكتبة سلمة بن سعيد الإستجي (327-406هـ/938-1015م):

ارتحل إلى المشرق ومكث فيه ثلاث وعشرين سنة، وسمع من عدة شيوخ،كان محدثا ثقة في رواية الحديث وكانت "روايته واسعة وعنايته ظاهرة،ثقة فيما نقل وضبط"[36]، جمع هذا المحدث أعدادا كبيرة من الكتب أثناء إقامته بالمشرق، حيث قدرت بثمانية عشر حملا من الكتب، ويبدوا أن سفره للمشرق كان بهدف جمع أكبر عدد منها فقد استعان على ذلك "بمال كثير حمله إلى المشرق"،[37]وكان يتخذ مصر مقرا لإيداع الكتب التي يجمعها، فكان أن جمع على مدار ثلاث وعشرين سنة مكتبة متنوعة "في كل فن من العلم"،[38]ودخل بها إلى الأندلس.

المكتبات في العهد العامري:

مكتبة المنصور بن أبي عامر: (366-399هـ/977-1009م)

كانت تحت إشراف محمد بن عبد الرحمن بن معمر القرطبي،(ت423هـ/1032م) وهو من المتخصصين في علوم اللغة العربية حتى أنه كان يلقب باللغوي، كما كان مؤرخا فقد ألف كتابا في تاريخ الدولة العامرية، حيث كان حافظا لها مشاركا في الأدب، ومن أعلم الناس بالكتب، وأعرفهم بطرق، ومناهج جمعها عالما بالوراقة،وهو ماأهله للإشراف على خزانة المنصور بن أبي عامر وولده المظفر الذي كانت لهم مجموعة من أنفس وأحسن الكتب، نستشف ذلك من وصف ابن الأبار لها بالخزانة الرفيعة[39].

مكتبة أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي (353-400هـ/964-1010م):

من أهل طليطلة، ويكنى أبا جعفر،برع في الحديث حيث سمع بطليطلة على عدة شيوخ، كما ارتحل إلى المشرق وسمع بمكة، والمدينة، ووادي القرى، وأيلة، ومصر،

وأطرابلس، والقيروان، والمسيلة، وتنس، وله ميل إلى التصوف حيث رابط بالفهميين بعد عودته من رحلته العلمية[40].

كانت له خزانة كتب في بيته جمع فيها كتبا من شتى أصناف العلوم، ومعظم هذه الكتب دونها بخط يده متبعا في تدوينها منهجا علميا صارما قائما على المراقبة الدائمة لها، ومعالجة أخطائها من سقط، وخلل، وزيادة في الألفاظ أو نقصان فيها حتى أن " كانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم بن محمد أصحّ كتب بطليطة"،[41] وذكر ابن بشكوال أن بيته كان يقع قرب أسواق طليطلة فاحترق السوق وانتقلت النار لبيته فأحرقتها إلا الغرفة التي كانت تضم خزانة كتبه حتى "عجب الناس من ذلك"[42].

مكتبة عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضي(351-403هـ/962-1012م):

وهو مؤلف كتاب تاريخ علماء الأندلس[43]،روى الحديث عن عدة شيوخ وارتحل إلى المشرق سنة 382هـ للحج، وأخذ بمكة العلم، وبمصر والقيروان وقرطبة[44]،برع في عدة علوم خاصة علم الحديث، وعلم الرجال[45]، وتميز بشغفه بجمع الكتب حيث جمع مكتبة ضخمة لم يسبقه أحد في عصره وأن جمع مثلها، وهو ماساعده في تأليف كتابه الذي اعتمد فيه على العديد من المصادر، إضافة لذلك فقد كان يقرأ الكتب في المجالس العلمية في العهد العامري[46].

مكتبة عبد الرحمن بن محمد بن فطيس المكنى بأبو المطرف: (ت 402هـ/1011م)

قاضي الجماعة بقرطبة،روى الحديث عن الكثير من الشيوخ،[47] وكان "من جهابذة المحدثين، وكبار العلماء المسندين حافظا للحديث وعلله، منسوبا إلى فهمه، وإتقانه عارفا بأسماء رجاله ونقلته"[48]، له مكتبة ضخمة متنوعة الكتب سعى في جمعها فمتى سمع بكتاب عند أحدهم إلا واشتراه منه مهما غلا ثمنه، وإلا انتسخه منه إذا لم يتمكن من اقتنائه[49].

وبذلك فقد تفرد في عصره حيث لم يجمع في وقته بالأندلس أحد مثلما جمعه أبو المطرف حسبما يقول ابن بشكوال[50]، بدليل أنه بعد وفاته حشرت كتبه في المسجد لبيعها فاستغرقت عملية البيع سنة كاملة محققة بقيمة أربعين ألف دينارا وهو مايبين أنه بذل الغالي والنفيس في جمعها لدرجة أن تعلق بها تعلقا شديدا لدرجة الهوس فكان من شدة التعلق هذه أن لايعير الكتب لأي أحد كان[51].

كما كان له في بيته مجلس مجلس علم عجيب، وصفه لنا النباهي بقوله: "وكان له بداره مجلس عجيب الصنعة حسن الآلة ملبّس كله بالخضرة: جدرانه وأبوابه وسقفه وستوره ونمارقه، وكل ذلك متشاكل الصفات قد ملأه بدفاتر العلم، ودواوين الكتب التي ينظر فيها ويخرج منها، وبهذا المجلس كان أنسه وخلوته"[52].

وكانت مكتبته تزخر بالسلاسل الضخمة ذات المجلدات الكثيرة نذكر منها:

عنوان الكتاب	عدد أجزائه	المصدر والصفحة
القَصص والأسباب التي من أجلها نزل القرآن	أكثر من 100 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
المصـــابيح في فضـــائل	100 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.

الصحابة		
فضائل التابعين لهم بإحسان	150 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
الناسخ والمنسوخ	30 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين	40 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
أعلام النبوة ودلالات الرسالة	10 أجزاء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
كرامات الصالحين ومعجزاتهم	30 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
مسند حديث محمد بن فطيس	50 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
مسند قاسم بن أصبغ العوالي	60 جزء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.
الكلام على الإجازة والمناولة	عدة أجزاء	إبن بشكوال،الصلة،ج1،ص404.

مكتبة عائشة القرطبية (ت400هـ/1009م):

وهي عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم، اشتهرت بالأدب والعلم والفصاحة وتميزت بحسن الخط وتكتب المصاحف وتنسخ الكتب، ولها ثروة أعانتها على جمع الكثير من الكتب حتى اجتمعت لها "خزانة علم كبيرة حسنة"[53].

المكتبات في عهد ملوك الطوائف:

مكتبة محمد بن يحي الغافقي القرطبي(ت433هـ/1041م):

يعرف بابن الموصول، تميز هذا العالم بشخصية شغوفة بالعلم، فقد كان منذ صغره دؤوبا على جمع الكتب "منتقيا لكرائمها بصيرا بخيارها عارفا بخطوطها"[54] فكان الكتاب شغله الشاغل ولذته الوحيدة، حتى أصبح خبيرا بهذا الفن وبلغ به شهرة جعلته "يحتكم إليه في ذلك"[55]وقد تمكن من جمع عدد كبير من الكتب لم يبلغ أحد في عصره وأن جمع مثلها من ناحية العدد، وقد حوت خزانته عدة كتب ذكر لنا بعضها ابن الأبار وهي كالتالي:

عنوان الكتاب	الناسخ	المصدر والصفحة
إصلاح المنطق	أبي علي القالي	إبن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص312.
الغريب المصنف	أبي موسى الحامض	إبن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص312.
نوادر ابن الأعرابي	أبي موسى الحامض	إبن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص312.
تاريخ أبي جعفر الطبري	ابن ملول الوشقي	إبن الأبار،التكملة لكتاب

		الصلة، ج1،ص312.

وعلى عادة بيع تركات العلماء آنذاك فقد بيعت خزانة ابن الموصول بأثمان غالية حتى "قوّمت الورقة في بعضها بربع مثقال"[56]، وهي إشارة تبين بجلاء قيمة الكتاب عند الأندلسيين، وسعيهم لإقتنائه ولو بلغت قيمته أغلى الأثمان.

مكتبة أبي جعفر أحمد بن عباس (ت429هـ/1037م):

كان على باع كبير من الأدب بدليل العديد من المقتطفات من رسائله التي أوردها ابن بسام في "الذخيرة"، تميز بحبه لجمع الكتب مقتنيا للجيد منها وبذلك جمع عددا كبيرا من الكتب قل ماتوفرت عند حاكم من حكام الطوائف آنذاك، ووصف وراقه كتبه التي حصلها بعد مقتله فقال "فبلغت المجلدات في التحصيل أربعمائة ألف، وأما الدفاتر المحزومة فلم يقف على عددها لكثرتها"[57].

مكتبة إبن حزم الظاهري(384-456هـ/994-1064م):

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، صاحب المذهب الظاهري، كان "أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة،مع توسعه في علم اللسان، والبلاغة، والشعر، والسير، والأخبار"[58]. وقد كانت له مكتبة ضمت مؤلفات منسوخة بخطه فاقت الأربعمائة مجلدا مامجموعه ثمانون ألف ورقة ورثها عنه إبنه أبو رافع[59] دون ذكر الكتب الأخرى بغير خط يده مما يعني أن ابن حزم كانت له مكتبة ضخمة.

مكتبة محمد بن عبد الله التجيبي المظفر (ت460هـ/1067م):

صاحب بطليوس ويعرف بالمظفر، كان "كثير الأدب جم المعرفة، محبا لأهل العلم"[60]، ومن يجمع هذه الصفات فأكيد يكون عاشقا للكتاب، متتبعا له، وبالنسبة لحاكم ميسور الحال فسيكون لامحالة "جمّاعة للكتب"[61]، حيث جمع عددا كبيرا من الكتب، وقد تصدر المظفر المشهد المعرفي على مستوى ملوك الطوائف "فلم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أدب ومعرفة"[62]، وله كتاب ضخم في خمسين مجلدا سماه بالمظفري ألفه بنفسه وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة ضمت "الأخبار والسير والآداب المتخيرة والطرف المستملحة والنكت البديعة والغرائب الملوكية واللغات الغريبة"[63].

خاتمة:

ختاما نستطيع القول أن الأندلس لم تتربع على عرش التاريخ والحضارة والرقي والتطور في العصر الوسيط إلا بتمسكها بحبل العلم،فراح أهلها يطوون المسافات في بحار العلم والمعرفة قاطعين أشواطا بعيدة عن الغرب الأوروبي الذي كان غارقا في غياهب الجهل، وإذا حق لنا الإعتبار من خلال ماذكرناه فلامحيص للأمة الإسلامية بتصدر المشهد المعرفي، والعودة لمضمار الحضارة واستلام مشعل الأجداد من جديد إلا بالإهتمام بالكتاب ومنحه إهتماما منقطع النظير،ولايتأتى ذلك إلا بإعادة الإعتبار لأهل العلم وإكرامهم، فقد رأينا سابقا أن حيازة الكتب والمكتبات أصبح مدعاة للفخر والتباهي لالشيئ سوى لأن الحكام رفعوا من قيمة العلماء فأصبح العامة والأغنياء يقلدونهم في إهتمامهم بالكتاب.

الهوامش:

1. آنجل جنثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الأندلسي،ترجمة حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،د.س،ص1.

2. هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن قهد بن ثعلبة بن عبد الله بن ثامر السّبئي،يكنىّ أبا رشدين: من التابعين وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم ارتحل إلى مصر ودخل الأندلس مع موسى بن نصير،وبنى جامع سرقسطة،كما روى الحديث عن العديد من الصحابة كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وأبي الدرداء وفضالة بن عبيد ورويفع بن ثابت،توفي سنة 100هـ/718م. الحميدي،جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،تحقيق بشار عواد معروف،محمد بشار عواد،دار الغرب الإسلامي،تونس،2008،صص293-295.

3. من التابعين وقد دخل الأندلس مع موسى بن نصير، كان من أهل الدين والفضل وبارعا في الفقه،كما روى الحديث عن أبي هريرة. الحميدي،نفسه،ص70.

4. مؤلف مجهول،ذكر بلاد الأندلس،تحقيق وترجمة لويس مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،مدريد،1983،ص109.

5. نفسه،ص110.

6. الحميدي،نفسه،ص31.

7. ارتحل إلى المشرق وروى عن عدة علماء جاوز عددهم المئتين نذكر منهم الإمام أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن إبراهيم الدورقي، له عدة مصنفات نذكر منها "تفسير القرآن" و "مصنف" في الأحاديث و"مصنف" في فتاوى الصحابة، قال عنه الحميدي "من حفاظ المحدثين وأئمة الدين والزهاد الصالحين" توفي سنة 276هـ/889م. الحميدي،نفسه،صص 251-252.

8. نفسه،ص31.

9. ابن الأبار،الحلة السيراء، ج1،تحقيق وتعليق حسين مؤنس،دار المعارف،القاهرة،1985،ط2،ص120.

10. الحميدي،نفسه،ص309.

11. نفسه،ص312.

12. ابن الأبار،نفسه،ص201.

13. الحميدي،نفسه،ص33.

14. نفسه،ص33.

15. مدينة عظيمة طيبة الماء والهواء كثيرة البساتين طولها ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا، وهي وافرة العمران من ديار وقصور وبساتين ومساجد وقيساريات وخانات وأسواق وحمامات وحصون وقلاع، من أهم معالمها الطبيعية نهرها الذي ينبع من جبال شقورة وهو أعظم نهر في الأندلس، أما أهم معالمها العمرانية يتمثل في مسجد قرطبة وقنطرتها التي السمح بن مالك الخولاني، اتخذها عبد الرحمن الداخل عاصمة للإمارة الأموية،وهي قاعدة الأندلس وقطرها الأعظم،سقطت بيد النصرانيين سنة 633هـ/1235م.مؤلف مجهول،جغرافية وتاريخ الأندلس،دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية،مؤسسة البلاغ،2013،صص94-97.

16. المقري،نفح الطيب،ج2،شرح وضبط وتعليق مريم قاسم الطويل، يوسف علي الطويل، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،الجزائر،2011،ص9.

17. نفسه،ص9.

18. فقيه وأديب(273هـ-355هـ/886-965م) ، ارتحل إلى مصر وسمع من ابن ولاّد وأبي بكر بن المنذر كما لقي بها أبا جعفر أحمد النحوي، تولى منصب قضاء الجماعة بقرطبة في عهد الناصر وإبنه الحكم المستنصر كما شغل منصب صاحب الصلاة ،اشتهر بخطابته حيث اشتهر بخطبته أمام رسول ملك الروم والمستنصر بعدما تردد أبو علي القالي عن ذلك، له عدة مؤلفات نذكر منها: الإبانة عن حقائق أصول الديانة،الناسخ والمنسوخ،الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله، قال عنه ابن خاقان "كان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولاعاجز ولامراقب لأحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم". الحميدي،نفسه،ص 514، الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة،دار عمار،مؤسسة الرسالة،بيروت،1983،صص237-238.

19. الحميدي،نفسه،صص 513-514.

20. وصفه الحميدي فقال فيه "من أهل الفضل والدين والعلم" له كتاب بعنوان التصريف لمن عجز عن التأليف، الحميدي،نفسه،ص303.

21. المقري،نفسه،ص9.
22. نفسه،ص9.
23. نفسه،ص9.
24. مدينة أزلية تبعد عن قرطبة مسيرة ثمانية أيام،وهي شاسعة المساحة تحتوي على العديد من الأسوار ولها سوق عامرة وتشتهر بصناعة القطن والزيت الذي يحمل مننها إلى سائر الأقطار، سقطت بيد النصارى سنة 646هـ/1248م. الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس،مكتبة لبنان،بيروت،1984،ط2،صص58-60.
25. خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية في الأندلس،ترجمة الطاهر أحمد مكي،دار المعارف،القاهرة،ط1994،2،ص149.
26. المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن،1909،ص39.
27. مدينة جليلة يحيط بها وادي وبها آثار للأول، تقع بالقرب من جزيرة شقر، وهي مدينة كثيرة الثمر طيبة الهواء وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق. الحميري،نفسه،ص337.
28. ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج3،دار صادر،بيروت،1977،ص309.
29. خوليان ريبيرا، نفسه،ص148.
30. ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1،تحقيق عبد السلام الهراس،دار الفكر،بيروت،1995،ص298.
31. ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1، ،صص 200-201.
32. ابن حزم الأندلسي،جمهرة أنساب العرب،تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال،دار المعارف،مصر،1948،ص92.
33. المقري،نفسه ،ج1 ،ص377.
34. ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1 ،ص201.
35. نفسه،ص202.
36. ابن بشكوال،الصلة،ج1،تحقيق وضبط وتعليق بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي،تونس،2010،ص304.

37. نفسه،ص305.
38. نفسه،ص304.
39. ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1 ،ص310.
40. ابن بشكوال ،صص 54-56.
41. نفسه،ص56.
42. نفسه،ص56.
43. نفسه،ص337.
44. نفسه،ص338.
45. نفسه،ص339.
46. نفسه،ص340.
47. مثل أبي جعفر أحمد بن عون الله وأبي عبد الله بن مفرج وأبي الحسن الأنطاكي وأبي زكريا بن عائذ. ابن بشكوال،نفسه،ص402.
48. نفسه،ص402.
49. نفسه ،ص403.
50. نفسه ،ص403.
51. نفسه ،ص403.
52. أبو الحسن النباهي،المرقبة العليا فيمن استحق القضاء والفتيا،تحقيق لجنة إحياء التراث العربي،دار الآفاق الجديدة،بيروت،1983،ط5،ص88.
53. ابن بشكوال،الصلة،ج2، نفسه ،ص343.
54. ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1 ،ص312.
55. نفسه ،ص312.
56. نفسه ،ص312.
57. ابن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ج1،تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،1997،ص665.

58. المقري،نفح الطيب،ج2 ،ص293.

59. نفسه ،ص298.

60. ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1 ،ص317.

61. نفسه ،صص 317-318.

62. نفسه ،ص318.

63. ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج3،تحقيق ومراجعة كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة،بيروت،ط3،1983،ص236.